بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرة

((نماذج في دراسة النص في ضوء سنن

الفطرة وتغيرات الواقع الاجتماعي))

مركز الدراسات المعرفية – رواق المعرفة

أ.د. عبد الحميد أبو سليمان

الثلاثاء الموافق ٢٠٠٩/١٠/٢٧

أ.د. عبد الرحمن النقيب:

نبدأ محاضرة اليوم ويحاضرنا فيها الأستاذ عبد الحميد أبو سليمان – رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وعنوان المحاضرة "نماذج في دراسة النص في ضوء سنن الفطرة وتغيرات الواقع الاجتماعي" والعنوان فيه تحدى فكرى فنحن أمام محاضرة تحتاج إلى التأمل والنقاش وإلى حوار وحتى لا نضيع الوقت نطلب من الدكتور عبد الحميد أبو سليمان أن يتفضل لإلقاء المحاضرة.

أ.د. عبد الحميد أبو سليمان:

مقدمة:

بسم الله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه. في الواقع هناك طريقين للحديث عن موضوع المحاضرة، الطريقة الأولى هي الكلام عن العلوم الاجتماعية وطبيعة العلوم الاجتماعية وعلاقتها بفهم النصوص لكيفية التواصل الاجتماعي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطريقة الثانية هي أن نضرب المثل ثم نحاول أن نرى ما هي علاقة العلوم الاجتماعية والمعرفة الاجتماعية بكيفية التعامل مع هذه النماذج، وأنا أرى أن أفضل الطرق هي الطريقة الثانية لأنها هي التي تيسر الفهم.

العقوبات الإسلامية:

المنهج الأول في قضيتنا هو العقوبات الإسلامية خصوصاً وأن الواقع يتعامل معها من خلال منطوق تراثي فعلى سبيل المثال القاتل يحكم عليه بالإعدام فمختلف الجرائم لها عقوبات مختلفة بعضها شديد جداً والبعض الأخر معقول، ويؤخذ في الاعتبار في هذه العقوبات الظروف المحيطة للتشديد أو التخفيف لكن أحياناً عندما تستخدم اللغة التراثية، ويبدو وكأن المطلوب في العقوبات ما يسمى بالحقوق قتل القاتل وقطع يد السارق والسارقة ورجم وجلد الزاني... وهكذا، وبالطبع لهذا أثاره النفسية التي تجعل العقوبات الإسلامية تبدو على أنها عنيفة وأنها طريقة بدائية وهذا يبدو للإنسان الغير ملم بالشريعة، وبعض الأنظمة التي إذا أرادت أن ترهب الناس من الإسلام تتكلم عن الحدود وعلى أن من يرتد عن الإسلام يقتل فينزعج الناس.

المنهج الإسلامي كوسيلة لحل المشكلات:

أذكر في السبعينات في اجتماع لبعض كبار رجال العالم الإسلامي وكنت معهم وكان معهم مستشرق وتكلمنا ودار الحوار عن الحدود وقضية عقوبة الزاني فقلت: تبدو وكأنها عقوبة رمزية، وأذكر أنهم ثاروا على هذا القول، وقد مرت السنين إلى أن ذهبت إلى الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا وكانت هناك مساكن الطلاب عبارة عن عنابر فيها عدد من الطلاب وهي جامعة تصرف عليها الحكومة والتغيير في هذا يحتاج إلى تكاليف ولكن كان الواضح أمامي أن هناك نوع من التوتر الاجتماعي داخل هذه الجامعة بين الطلبة إلى أن تقرر أن يبنى حرم جامعي في منطقة اسمها "كوبر" وسيكون السكن الداخلي فيها لعدد ١٥٠٠٠ طالب فقلت أن هذه فرصتي في أن أحاول كيف أجعل ضمن المساحة المحددة لكل طالب أن أجعله يحصل على أكبر قدر ممكن من الراحة الاجتماعية في حدود تلك المساحة، فبدأت أحلل القضية من الناحية الإسلامية ومن الناحية الاجتماعية، فكل طالب من الممكن أن يسكن لوحده للحد من هذه المشاكل، ولكني رأيت أن هذا لا يجدي لأن الطالب قبل أن يأتي إلى الجامعة كان يعيش في أسرة وله أمه ووالده ومن يرعاه ويوفر له طلباته وكل احتياجاته فوجدت أنه من الأفضل أن يعيش كل اثنين مع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعضهما ولكن أيضاً لم يكن هذا حل صائب، فقد ينشأ بينهما خلاف، إذن فثلاثة فأيضاً هذا لا يصلح فسيتقرب اثنان من بعضهما البعض وينعزل الثالث والرسول r في الحديث قد حذر من هذا: عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس؛ من أجل أن ذلك يحزنه"[1] إذن فأربعة فوجدت أن كل الإشكاليات التي من الممكن أن تحدث سوف تحل، فهو ليس وحده وإذا اختلف اثنين فهناك طرف ثالث، فإذا تقرب اثنين فهناك اثنين آخرين يستطيعون العيش معاً، وعندما وصلت إلى هذه النتيجة وجدت نفسي أجاوب على سؤال ما أجاب عليه العلماء بشكل واضح من قبل، لماذا في جريمة الزنا لابد أن يكون الشهود أربعة وليس اثنان كما في الزواج؟ فلو رجعنا للنص "حتى لا تشيع الفاحشة بين المؤمنين".

الهدف من العقوبات

إذن العقوبة ليس المقصود بها معاقبة الفعل ولكن المقصود بها هي عدم إشاعة الفاحشة بين المؤمنين، فإذا شاع في مجتمع، وأربعة هو الحد الأدنى للمجتمع فهنا يتوجب العقوبة، وهذا أبصرني على شيء لم يكن في بالى ولم يكن في حسباني، حيث كانت المشكلة الرئيسية التي كانت تشغلني هو تصميم سكن الطلاب، وهذا بعيد كل البعد عن موضوع العقوبات، ولم يخطر في بالى أمر من أمور الشريعة أو أمر من أمور العقوبات.

ذلك الأمر – أي موضوع سكن الطلاب – جعل تشريع العقوبات يدور في ذهني لأني أعلم أن هذا النوع من الحديث يعتبر في جزء كبير منه يستخدم لترهيب الناس، وأول شيء خطر في ذهني لماذا تختلف عقوبة الزنا عن السرقة عن القتل... وهكذا؟ أولاً فإن الجرائم نوعين نوع يتعلق بالطبيعة البشرية ونوع يتعلق بحقوق الأموال والدماء، فالأمن الاجتماعي فيما يتعلق بالطبيعة البشرية لا يوجد إنسان في الدنيا يستطيع أن يجزم بأنه لن ولم يقع في خطأ من هذه الأخطاء وقد لا يقع ولكنه لا يستطيع أن يجزم بهذا فالتلصص والتجسس وتتبع العورات يعوق الأمن الاجتماعي ولذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في القصة المشهورة:

---

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في إحدى جولاته لتفقد رعيته، تسور عمر بن الخطاب الحائط على جماعةٍ يشربون الخمر، ثم باغتهم، وهم يشربون، ولما أراد عقابهم، قالوا له: لقد أتينا بمنكرٍ واحد، أما أنت فقد أتيت بثلاثة منكرات:

١- دخولك علينا من غير باب.

٢- عدم استئذانك بالدخول.

٣- تجسسك علينا.

وكل هذه الأمور نهى الله عنها، فانثْنى عمر عنهم بعد أن لزمته حجّتهم.

وفي هذا الرجوع إلى الحق قال الشاعر حافظ إبراهيم يمدحه:

وفِتْيةٍ ولِعُوا بالرّاحِ فانتبذُوا ... لهُم مكاناً وجدُّوا في تعاطيها

ظهرت حائطهُم لما علِمْت بِهِم ... واللّيلُ مُعتكرُ الأرجاءِ ساجِيها

حتّى تبيّنْتهُم والخمْرُ قدْ أخذتْ ... تعلُو ذُؤابةَ ساقيها وحاسيها

سفّهت آراءهُم فيها فما لبِثُوا ... أن أوسعُوك على ما جِئت تسفيها

ورُمت تفقِيههُم في دينهم فإذا ... بالشّربِ قدْ برعُوا الفاروق تفقيها

قالوا: مكانك قد جِئنا بواحدةٍ ... وجِئتنا بثلاثٍ لا تُبالِيها

فأْتِ البُيُوت مِن الأبوابِ يا عُمرُ ... فقد يُزنُّ مِن الحيطانِ آتيها

واستأذِنِ النّاس أن تغشى بُيُوتهُمُ ... ولا تُلِمّ بِدارٍ أو تُحيّيها

ولا تجسّس فهذي الآيُ قد نزلت ... بالنّهي عنهُ فلم تذكُر نواهِيها

فعُدْت عنهُم وقد أكبرْت حُجّتهُم ... لمّا رأيت كِتاب اللهِ يُمْلِيها

وما أنِفْت وإن كانُوا على حرجٍ ... مِنْ أنْ يحُجّك بالآياتِ عاصيها

ففي هذه القصة لم يستطع أن يعاقبهم لأن في هذا تتبع عورات وعدم إحساس بالأمن الاجتماعي.

أما النوع الأخر من الأخطاء - فأكيد أنني لن ولم أفكر في أن أقتل أو أسرق ولكنه قد يأتي في بالى أنني أُقتل أو أُسرق وهنا يأتي وجوب منع للفعل للحفاظ على الأمن الاجتماعي فلو كان سيدنا عمر بن الخطاب نظر فوجدهم يقتلون شخصاً فقد يحاجوه بالتسور ولكن لن يمنع عنهم ذلك إنزال عقوبة القتل هنا، فما كان لهم أن يقولوا أننا لم نخرج لا فكانت ستقام عليهم العقوبة وهنا الاختلاف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقصد الشارع من الحدود:

بعد ما تقدم من أمثلة يظل السؤال مثاراً، هل الحد هو المقصود؟ لا، مع الأسف الذين تداولوا هذا الموضوع يحدثونك وكأن الحد هو المقصود ولكن على سبيل المثال فالاعتماد على السنة بدون فهم الظرف الزماني والمكاني وعدم القدرة على تنزيل مفاهيم القرآن، فالقتل القصاص هو العقوبة والإسلام يطلب منك العفو، إذن فهي ليست عقوبة، وعندما نتحدث عن حد السرقة {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (المائدة: ٣٨) فالتطبيق الحرفي هو قطع يد السارق والسارقة، وإذا تتبعنا بعض التطبيقات بما فيها ما يروى عن سيدنا عمر[٢] جاءوه بشاب ويبدو عليه أنها أول غلطة له فقال له أسرقت؟ قل لا، فقال فأطلق سراحه... وتكلم الفقهاء في النصاب الذي عنده تقطع اليد وما إلى ذلك، أو أن يكون في حرز أي وضع القيود على استخدام الحد فهذا طيب.

ولكن إذا عدنا إلى النص القرآني ينص على قطع اليد، إذن فقطع اليد هو سقف العقوبة ويمكن ألا تطبق بالاستناد للظروف لأن المقصود هو منع الجريمة وليس الانتقام.

---

(٢) روي أنه صلى الله عليه وسلم قال للسارق أسرقت قل لا ولم يصححوا هذا الحديث هذا الحديث تبع فيه الغزالي في الوسيط فإنه قال وقوله قل لا لم يصححه الأئمة وسبقهما الإمام في النهاية فقال سمعت بعض أئمة الحديث لا يصحح هذا اللفظ وهو قل لا فيبقى اللفظ المتفق على صحته وهو قوله ما أخالك سرقت وقال في موضع آخر غالب ظني أن هذه الزيادة لم تصح عند أئمة الحديث قال الرافعي ورأيت في تعليق الشيخ أبي حامد وغيره أن أبا بكر قاله لسارق أقر عنده انتهى والحديث قد رواه البيهقي موقوفا على أبي الدرداء أنه أتي بجارية سرقت فقال لها أسرقت قولي لا فقالت لا فخلى سبيلها ولم أره عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أبي بكر إلا أن في مصنف عبد الرزاق عن بن جريج قال سمعت عطاء يقول كان من مضى يؤتى إليهم بالسارق فيقول أسرقت قل لا وسمى أبا بكر وعمر وعن معمر عن بن طاوس عن عكرمة بن خالد قال أتي عمر بن الخطاب برجل فسأله أسرقت قل لا فقال لا فتركه وروى بن أبي شيبة من طريق أبي المتوكل أن أبا هريرة أتي بسارق وهو يومئذ أمير فقال أسرقت قل لا مرتين أو ثلاثا وفي جامع سفيان عن حماد عن إبراهيم قال أتي أبو مسعود الأنصاري بامرأة سرقت جملا فقال أسرقت قولي لا وأما حديث ما أخالك سرقت فتقدم وليس هو من المتفق عليه اصطلاحا وفي الباب حديث أبي بكر قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم جالسا فجاء ماعز بن مالك فاعترف عنده الحديث وفيه إنك إن اعترفت الرابعة رجمتك أخرجه أحمد وفي الموطأ من طريق أبي واقد أن عمر أتاه رجل فذكر له أنه وجد مع امرأته رجلا فبعث عمر أبا واقد إلى امرأته فسألها عن ذلك وذكر لها أنها لا تؤخذ بقوله وجعل يلقنها لتنزع فأبت أن تنزع وتمت على الاعتراف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حد الحرابة

وننتقل إلى الحد الثالث وهو حد الحرابة **{**إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**}** (المائدة: ٣٣) إذن هذه العقوبة هي سقف ولك أن تسلم الأمر إلى أن يسجن حتى يصبح آمن على المجتمع فإذا أمنته فلا داعي للعقوبة، فهنا لو قدم هذا على أنه سقف للعقوبة وللمجتمع أن يقرر العقوبة تبعاً للحالة المعروضة ولكن دون تعديل أو زيادة، فقد أسرف البعض على سبيل المثال في حد الزنا لغير المحصن بجلده ١٥٠ جلدة و٢٠٠ جلدة لماذا كل هذا؟! بالرغم أن القرآن نص على أنها مائة جلدة **{**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**}** (النور: ٢) فهل هي عملية تعذيب؟ فلو كان هذا الشخص خطر على الناس والمجتمع فاسجنه أو حتى نطبق عليه سقف العقوبة.

الوحي وتنزيله على الواقع

هنا الذي أريد أن أقوله، هذه هي الأبعاد في فهم هذه القضية، فلم يكن تفكيري مباشر في هذا، إنما من خلال علاقات اجتماعية استطعت أن أرى حكمة النص في هذه القضايا. فإذن ما نسميه بالثقافة الاجتماعية وفهم الطبيعة البشرية وتفاعلاتها وتغيراتها بتغير الإمكانات والخلفيات يجعلك تدرك ما في النص وتجعل النص قادر على أن يرشدك بالفعل، وقبل أن أدخل في تفاصيل هذه القضية وعلاقة النص بالفعل ربما أضرب مثل آخر: أذكر في الثمانينات أنني كنت أصلى صلاة الجمعة وكنت أستمع إلى الخطيب وهو يخطب فجاء بحديث عن الرسول **r** عن رواية أبى زرع وكان في هذا الوقت هناك فتنة فقال له إلزم بيتك فقال وإن دخل على بالسيف قال له فإن خفت لمعان السيف غطى وجهك[٣]، فأنا كمتخصص في العلوم السياسة وعندما احلل ذلك النص

---

(٣) وأما الحديث المروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذكر الفتنة فقال: إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم، وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه قال فقمت إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ قال: الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ بما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة. رواه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحليل ظاهري أدرك أنه منع من حق الدفاع عن النفس فما أفهمه من الأدبيات السابقة والشائعة أن عليك أن تحارب بيدك وأن المظلوم يستجمع طاقته وينقض على الظالم...وهكذا، فلفتت نظري هذه القضية، ولكن للوقوف على مقصد النبي r من الحديث، هنا لدي قضيتين منهجيتين إضافة إلى المعتقدات الثقافية التي تتكون لدى الإنسان منذ طفولته وطريقة التعليم وطريقة التناول، تتكون عنده أولويات... ومن كل ما سبق وللخلفية الثقافية والعلمية التي تكونت لدي دائماً لا تمر لدي قضية لا أفهمها من الناحية العلمية، والشيء الأخر أنى لا أخذ نص جزئي فلابد أن يكون عندي دراية كاملة بالنصوص، فبذلك سأصل إلى حلول وآراء - قد لا تعجب البعض- ولكنه لن يستطيع أن يعترض عليها.

وفى هذه القضية التي أشرت إليها سابقاً والمتعلقة بحديث الفتنة، قضية العنف والنظام السياسي بالنسبة لي قضايا عامة، فكيف افهم حديث الرسول r وهذا التوجيه بطريقة تنفي عن الإسلام مقاومة الظلم والظالمين؟ المسألة بسيطة الرسول صلى الله عليه وسلم دخل في كل أنواع الصراع السياسي -لأن الفتنة هي صراع سياسي- فدعني أتتبع تعامله مع هذه القضية وهذه الصراعات إلى أن بلغ نهاية حياته وأخذ يحذر على ما سيكون بعده والذي حدث في تاريخ الإسلام وزعزع كثير من أركانه وأولوياته هو سيطرة أو تغلب الأعراب على جيش الفتح فتغيرت القاعدة السياسية بعد ذلك فكان لابد أن أتتبع ما الذي أصاب عقل المسلم حتى أصل إلى النقطة التي لابد أن تكون السبب الذي أدى إلى هذا

محنة الأئمة

فبعد هذا التغلب – أي سيطرة أو تغلب الأعراب على جيش الفتح كما قلت- فقد تغيرت القاعدة السياسية وبالتالي ظهر الإسلام وكأنه قانون أحوال شخصية، أما قضايا الحكم فهو بعيد عنها ولذلك نجد بعد هزيمة مدرسة المدينة وحصلنا على جيل ثاني التزم المساجد وبعد عن الحياة الاجتماعية، وتعالوا ننظر لأبى حنيفة رضي الله عنه نجد أنه أكبر المجتهدين وأولهم ويسمى بصاحب مدرسة الرأي مع ذلك لم يستشهد من السنة إلا بحوالي عشرين حديثاً وكلها قد تكون سنة فعلية ومتواترة ولكن هو أخذ حكمة التنزيل النبوي على ظرفه ومكانه ولذلك فكان صاحب رأى وهو بدأ يتبين أن المنهجية فيها خلل فهو يتتبع المصادر الأساسية المعروفة القرآن والسنة ثم الجماعة ثم القياس فيجد أن النتيجة تخالف الشريعة، فأدرك أنه لابد أن يكون هناك خطأ ووصل إلى استحسان ما يتفق مع الشريعة، لأن الخلل في القياس يعطى صورة جزئية وليس صورة كلية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبالفعل تغيرت الصورة بطريقة علمية وعندما جاءوا وسألوه في شيء متعلق بالسياسة قال: أنا لا علاقة لي بهذا فعوقب على ذلك.

ونذهب إلى الإمام مالك فكل ما جاء في كتابه خمسمائة حديث وهذا أيضاً أوذي سياسياً عندما سئل عن طلاق المكروه فأفتى بأنه لا يقع وهذا له دلالة سياسية، فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي **r** قال: "يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة" وقد روى عن أبى عيينة أن سئل من عالم المدينة؟ فقال: أنه مالك بن أنس رواه الإمام الترمذي في سننه.

وكان هارون الرشيد قد بعث إلى الإمام مالك ليأتيه فيحدثه بعلمه فقال الإمام (العلم يؤتى) فقصد هارون الرشيد منزله واستند إلى الجدار فقال مالك: يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله إجلال العلم فجلس بين يديه فحدثه. وقد تعرض الإمام مالك لبعض المحن نتيجة بعض الفتاوى التي تغضب الحكام حيث أفتى بعدم لزوم طلاق المكره، وكانوا يكرهون الناس على الحلف بالطلاق عند البيعة فرأى الخليفة والحكام أن الفتوى تنقض البيعة التي يبايعها من حلف بالطلاق، وبسبب ذلك ضرب بالسياط وانفكت ذراعه بسبب الضرب الذي أوقعه عليه (جعفر بن سليمان) والي المدينة وقد بنى مالك مذهبه على أصول هي كتاب الله وسنة رسول الله **r** والإجماع والقياس وقول الصحابي والمصلحة المرسلة والعرف وسد الذرائع والاستحسان والاستصحاب.

الشافعي أيضاً أتوا به مكبلاً بالحديد لأنه أبدى تعاطفه السياسي مع بعض آل البيت وأيضاً نفس الأمر مع الإمام أحمد بن حنبل والذي جمع أربعمائة ألف حديث من مليون حديث عن النبي **r** وهذا يدل على كثرة الكذب على الرسول **r** وكثرة تأويل الأحاديث الغير صحيحة ونسبها إلى الرسول، فكان كل من يرى كلام حسن يقول أن الأولى به رسول الله **r** فينسبه إلى رسول الله **r** ، فالبعض من هؤلاء يروى عن كل ما هو موثق ومعروف إلى أن يحصل على لقب ثقة وبعضهم عند تلك اللحظة يبدأ في التلفيق ويدخل علينا بأحاديث ليست صحيحة.

المهم نعود إلى قضيتنا أن الأربعين ألف حديث منهم صحيح ومنهم غير صحيح والله تعالى "آتاه الكتاب والحكمة – صلوات الله وتسليمه عليه" فهذه هي حكمة التنزيل كيف يجعل هذه المفاهيم واقع ويقيم الحجة وأن تبقى المفاهيم واحدة مهما تغير الزمان والمكان؟

بعد ذلك أصبح -سار التقليد- ليس فقط الالتزام بالسنة أيضا بأقوال الفقهاء وكأنها سنة. القرآن وصف بأنه مبين وأنه مفسر وأنه مؤكد وعجيب أن الله سبحانه وتعالى ورد قوله بشأن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرآن {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر: ٩)، ولم يرد ذلك بشأن السنة.. فالمطلوب كيف تدرك القرأن الكريم وتفهم السنة وتنزيلها وتفيد منها بأكبر قدر ممكن؟

منهج مستنبط من المنهجية الإسلامية

هناك كتاب كتبته عام ١٩٦٠ بعنوان "نظرية الإسلام الاقتصادية" وعندما درست ما ورد من أحاديث حول موضوع الكتاب في ظل الزمان والمكان وجدتها نظريات وسياسات عبقرية إلهية وما كان يمكن أن يتحول الإقتصاد إلى إقتصاد نقدى وينمو الإقتصاد دون هذه التوجيهات.

وجدت أيضاً أن الرسول r كان لا يستخدم العنف مهما عذبوا المسلمين في مكة ومهما ضايقوهم ومهما حاصروا المسلمين وكان يتركهم يقوموا بشعائرهم وما إلى ذلك ولكن عندما إنتقل إلى المدينة إستخدم ضد قريش كل أساليب العنف والحرب، فلماذا هذا الاختلاف؟ لأن في مكة كان مجتمع واحد وأسرة واحدة فلو أستخدم العنف ستتمزق العائلة فهى علاقة المجتمع الواحد أما عندما إنتقل إلى المدينة أصبحت العلاقة دولية فلم تصبح علاقة مجتمع واحد، وفى العلاقات الدولية إما سلام أو عهد أو حرب، وفى العلاقات الدولية أيضاً لابد من التعامل مع القيادات السياسية فتجد أن رسول الله r عندما كتب إلى كسرى ملك فارس كما ورد في السيرة النبوية قائلاً له:

"بسم الله الرحمن الرحيم" من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك".

واختار لحمل هذا الكتاب عبد الله بن حذافة السهمي، فلما قرئ الكتاب على كسرى مزقه، وقال في غطرسة: عبد حقير من رعيتي يكتب اسمه قبلي، ولما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مزق الله ملكه، وقد كان كما قال، فقد كتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن: ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين (أي قويين) فليأتياني به، فاختار باذان رجلين ممن عنده، وبعثهما بكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معه إلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كسرى، فلما قدما المدينة، وقابلا النبي صلى الله عليه وسلم قال أحدهما: إن شاهنشاه (ملك الملوك) كسرى قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وبعثني إليك لتنطلق معي، وقال قولا تهديديا، فأمرهما النبي صلى الله عليه وسلم أن يلاقياه غدا.

وفي ذلك الوقت كانت قد قامت ثورة كبيرة ضد كسرى من داخل بيته بعد أن لاقت جنوده هزيمة منكرة أمام جنود قيصر، فقد قام شيرويه بن كسرى على أبيه فقتله، وأخذ الملك لنفسه، وكان ذلك في ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع هجرية، وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الوحي، فلما غدوا عليه أخبرهما بذلك فقالا: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر أفنكتب هذا عنك، ونخبره الملك؟ قال: نعم أخبراه ذلك عني، وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى! وينتهي إلى منتهى الخف والحافر (أي إلى كل مكان على وجه الأرض) وقولا له: إن أسلمت أعطيتك ما تحت يدك وملكتك على قومك من الأبناء، فخرجا من عنده حتى قدما إلى باذان فأخبراه الخبر، وبعد قليل جاء كتاب بقتل شيرويه لأبيه وقال له شيرويه في كتابه: انظر (أي أمهل) الرجل الذي كان كتب فيه أبي إليك، فلا تهجه (أي فلا تتعرض له) حتى يأتيك أمري. وكان ذلك سببا في إسلام باذان ومن معه من أهل فارس باليمن (انتهى).

ولذلك فلو أسلم (كسرى) لم يجعل مجالاً للحرب والعنف، فالموقف هنا مسألة عهود ومواثيق فمن يسلمك تسلمه ومن يعاديك تعاديه فهذه هي طبيعة العلاقات الدولية؟ ولا يعني عدم استخدام الرسول r العنف في الشأن الداخلي الاستسلام، فقد أرشدنا صلوات الله وسلمه عليه في نصوص أخرى إلى حق المقاومة السلمية. هنا نأتي إلى ما هي قصة أن لا تستخدم العنف؟ فالرسول صلى الله عليه وسلم يرى الوضع العربى ويستطيع أن يرى ما سيأتى ولكن هل معنى ذلك الإستسلام ؟ لا فهو قال لهم وأرشدهم على الطريق الصحيح في قوله r "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"[٤] "ولا طاعة إلا في معروف" وهذا ما فعلته الثورة الإيرانية وهذا هو الفرق بينها وبين التجربة الجزائرية، فلماذا نجحت الثورة الإيرانية؟ فهم نزلوا إلى الشارع وطالبوا

---

(٤) رواه أحمد والحاكم عن عمران ابن حصين، ورواه أبو داود والنسائي عن علي بلفظ لا طاعة لأحد في معصية الله إنما الطاعة في المعروف، ورواه أحمد عن أنس بلفظ لا طاعة لمن لم يطع الله.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بمطالبهم وتظاهروا سلمياً فتحرك الجيش وضربوهم فلم يردوا عليهم... وهكذا وهكذا، واستمر الحال على هذا المنوال حتى توقف الجنود عن تنفيذ الأوامر فسقط النظام.

فنجد هنا أن الرسول r لم تغب عنه كل الصراعات ويتضح هذا في الفرق بين السياسة الداخلية والخارجية أما في التجربة الجزائرية، كان هناك حالة عدم رضى من الشعب عن الأوضاع فنزل الناس في مظاهرات سلمية فبدأ الجيش يتحرك فقبضوا على الصف الأول وضربوه فرد الصف الثانى بالعنف وصارت معركة لم تنته والنتيجة هي عدم الاستقرار.

فهنا الحكمة التي وصلنا إليها بتتبع طبيعة السياسة الداخلية وعلاقتها وطبيعة السياسة الخارجية وعلاقتها، فعلى سبيل المثال في الولايات المتحدة إذا أخطأ رئيس الجمهورية فلا يحدث تغيير نظام إلا عن طريق صناديق الاقتراع، فإن استخدام القوة ة لا يأتي بنتيجة فعندما تقتل رئيس الدولة وتغير النظام فإن الآمور ستظل غير مستقرة لأن كل من لا يعجبه النظام سيلجأ للعنف حتى يغيره ويتحول الأمر إلى معارك مستمرة.

الفطرة الإنسانية

نعود إلى قضيتنا هناك فطرة سامية وهناك فطرة حيوانية، وقانون الغابة، وقانون الغابة غير موجود عند الغرب في تعاملهم مع بعضهم البعض، على الرغم من وجود القومية والتماسك ضد الأخر وهناك قوة ومصالح في التعامل الدولي ولم تصبح الأخلاق هي الموجه لسلوكهم في التعامل مع الآخر، وكل ذلك نتيجة تنحية الدين وقيمه من صياغة مفاهيم الحكم والعلاقة مع الآخر لديهم. فالعدل من أساسيات الجوانب الروحية في تكوين الإنسان والبحث عن المشترك في علاقتي مع الآخر فأنا حجازي عربي، وعربي مسلم، ومسلم إنسان فكلنا من نسل واحد فلابد أن أنظر للمشترك حتى أستطيع التواصل معه، أما المنظور الغربي يتبنى المنظور الحيواني أولاً: القومية فكيف أعرف أن هذا بريطاني وهذا هندي؟ من خلال المختلف، فالانزعاج الغربي لما يحدث في العراق هل سببه هو ملايين من العراقيين الذين قتلوا؟ لا، فهم انزعجوا بسبب مصالحهم التي تدمر، فالإنسان في الواقع بين هذين الجانبين والوحى جاء ليرشد الفطرة والطبيعة البشرية السامية فالله جعل القرآن ترشيد لهذا، فالله جعلنا خلفاء في الأرض للإصلاح وليس للإفساد.

العلاقة بين النص والفطرة

الفطرة فيها الجانب السوي والجانب الغير سوى، أما النص فقد جاء لترشيدها ولذلك إذا لم تفهم طبيعة الفطرة لن تدرك دلالة النص، وإذا لم تدرك النص بالشكل الصحيح لن ترشد الفطرة ولذلك العلاقة الجدلية ليست مع الأخر وإنما بين النص والفطرة، فيجب أن تحسن فهم الفطرة حتى تحسن فهم النص، وإحسانك لفهم النص يجعلك ترشد الفطرة.. وهنا عندما نتكلم عن العلوم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاجتماعية نتحدث عن جانبين لها: جانب علمي وهو محاولة فهم الواقع في ظل ظـروف معينـة وإمكانيات معينة، والجانب الآخر هو الخلفية الثقافية، فأنت عندما تطالع نص بالنسبة لحدث معـين فالمفروض أن تستجمع لفهم ذلك النص أو الواقعة الثقافة الجيدة والصحيحة والتنـشئة الـصحيحة وأولويات الشريعة والوحي والقيم والأحداث والمبادئ، فعلى سبيل المثال منذ المرحلة الثانوية كان يثور لدي سؤال دائم وهو: هل أنا مسلم لأني ولدت في مكة ولأن أبواي مسلمين فلابد أن أكـون مسلماً؟ ومن خلال تجارب عقلية وعلمية وفكرية تأكد لدي إيماني القوي وسـعادتي بـأن أكـون مسلماً، ووصلت إلى ذلك كما ذكرت آنفاً بأسلوب عقلي لا علاقة له بأي خـوارق، فالواضـح أن الكون معقد وخصوصاً وأنى كنت أقرأ أحياناً في علم الفلك وهذا يجعلك تنبهر وتتوه في ضـخامة الكون ودقته، وقلت لنفسي أنني جئت إلى الدنيا وأنه سيأتي اليوم وسأرحل عنها، ولكن عندما يأتي لي شخص ويقول أنني بعثت إليكم برسالة من رب العالمين، فالأمر هنا خطير يـستحق التفكيـر والدراسة، ولكن كيف أعرف أنه على صواب وأنه ليس دجالاً؟ فوضعت عدة تـصورات الأول: هو أن يكون جاء على نص الكلمات التي أتت من عند الله لأن القرآن موثق ومتـواتر، والأمـر الثاني أنه لابد أن تكون رسالة خيرة لأن القرآن هو العدل والإحسان فأي شـيء يعـرض عليـك يتعارض مع هذا الميزان فلا يمكن أن نقبله، ولابد أن تكون الشخصية التي أتت بذلك النور هـي شخصية الرسول r حتى أصدقه أما غير ذلك فلا أسمع له، وهنا لابد من ثقافة اجتماعية وبحـث علمي اجتماعي ضروري في ثقافة الأمة وبالتأكيد في ثقافة من يتصدر لتعاليم الدين، ولابـد مـن فهم كليات القرآن الكريم ومقاصده حتى تفهم أجزاءه ودون ذلك فهو ينطق بما لا يعرف، والحمـد لله وشكراً لكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ.د. عبد الرحمن النقيب:

إن الدكتور عبد الحميد أبو سليمان بدأ بأن التعامل مع هذا الموضوع لابد أن يكون من خلال العلوم الاجتماعية وكيف أنها تستفيد من النص، وأخذ أمثلة ونماذج من النصوص ثم أعمل فيها العلوم الاجتماعية وفضائل الفطرة وقدم مفهوماً جديداً لتلك النصوص، وأخذ نماذج من النصوص ثم أعمل فيها العلوم الاجتماعية والفطرة وأعطاها بعض الإيضاحات التي تقربها إلى الفهم المعاصر وهذا يحمد له، ثم أعطى نموذج أخر يتعلق باستخدام العنف في مواجهة الظلم الداخلي وأتى بحديث للرسول صلى الله عليه وسلم ثم تعامل أيضاً مع هذا النص في ضوء طبائع الفطرة وفى ضوء أيضاً العلم السياسي والعلاقات الدولية، ويرى أن بهذه الطريقة المفروض أن نتعامل مع النصوص باستدعاء العلوم الاجتماعية وطبيعة النفس الإنسانية التي تكون إما خيرة أو شريرة وبدون ذلك يكون التعامل مع النصوص تعاملاً لفظياً أو تراثياً أو ضيقاً وهذا هو موجز سريع لما قاله الدكتور عبد الحميد في محاضرة عقلية دسمة والآن نسمع مداخلاتكم وتعليقاتكم وتعقيباتكم.

د. عبد الناصر ذكى العساسي:

بسم الله الرحمن الرحيم، المحاضرة هي عبارة عن رؤية فوقية وهذه الرؤية الفوقية هي المطلوبة في الوقت الحاضر ولكنى أريد أن أقول شيئاً بسيطاً وهى مجرد ملحوظة بسيطة أن أستاذنا ذكر أن الإمام أحمد بن حنبل روى في مسنده أو كتب مسنده في ٤٠ ألف حديث من مليون حديث، وهناك في علم تخريج الحديث ما يسمى بالحديث المتواتر وأكثر الحديث تواتراً هو حديث تعمد الكذب على النبي r وما جاء فيه" حدثنا شريك بن عبد الله عن سماك عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال: قال رسول الله r : من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار". هذا الحديث رواه من الطبقة الأولى ثلاثة وستون صحابياً فإذن هذا الحديث عند المحدثين يعتبر ثلاثة وستون حديثاً فكل طريق يسمى حديث.

أما النقطة الثانية التي أشار إليها د. عبد الحميد، أن الإمام مالك ذكر في مسنده خمسمائة حديث فإنه كان يأخذ لقب أمير المؤمنين في الحديث وعند المحدثين هناك ألقاب وكل لقب درجة فالدرجة الأولى هي المحدث وكانوا يشترطون أن يكون حافظاً لخمسين ألف حديث، ثم الحافظ مائتين ألف حديث، ثم الحاكم أربعمائة ألف حديث، ثم أمير المؤمنين في الحديث وهو الذي أختبر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في جميع الأحاديث التي عند العلماء متناً ومسنداً وثبت حفظه لها بالتالي أخذ لقب أمير المؤمنين في الحديث فأخذها الإمام مالك وسفيان الثوري ويقال أن الإمام البخاري أيضاً وشكراً لكم.

المهندس/ سامي عبد السلام:

أنا أؤكد على المعنى الجليل الذي ذكرته عن الرسول r وكان في ذهنه لا إله إلا الله حتى أربعون عاماً وسيدنا محمد r كان أمياً والله سبحانه وتعالى أراد أن يأخذها حجة على البشر، وبهذه الأمية أصبح كالمرآة يسقط عليه الضوء فينعكس فهو لم يضيف شيئاً فهو أخذ كلام الوحي من الله سبحانه وتعالى وأرسله للبشر فهذه حجة على البشر في حد ذاتها ويؤكد هذا أن أول أيه نزلت هي (اقرأ) فكان ممكن أن يرسل بليغاً أو عالماً أو هكذا ولكن هذه في حد ذاتها حجة على البشر وهى أن الرسول r أمي وأن كل شيء جاء به هو كلام الله سبحانه وتعالى: **{**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**}** (النجم: ٣-٤) وشكراً.

المهندس خالد محمد أحمد:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته في الحقيقة أنا سعيد جداً من المحاضرة مع أنني لم أحضر العشر دقائق الأولى لكن الموضوع الذي استوقفني هو استخدام حل المشاكل من خلال مجتمع رحم وحضرتك وسعت الدائرة إلى أنها أصبحت داخل الأمة كاملة مثل المثل الذي ضربته حضرتك بإيران. أما الآن مشكلة استخدام الرحم في الأمة الإسلامية والأمة العربية فتحتاج من سيادتك ملامح وبحث أكثر وأن تضع لنا خطوط عريضة وليبدأ كل من له باع في هذا المجال ويبدأ ينشر مثل هذا الفكر لأن هناك خطأ في فهم وحل القضايا على مستوى الجماعة وهناك دول مثل روسيا بها مائة ثلاثة وستون عرقية ويستطيعون أن يحلو مشاكلهم ومحاولة الحفاظ على هذه العرقيات وهم يستخدمون هذا الفكرة المحمدية التي ذكرتها سيادتك فنريد أن تذكر لنا بعض الملامح لهذا الطريق، وشكراً.

أ. إبراهيم فهمي - صحفي بجريدة الأهرام:

بسم الله الرحمن الرحيم، لي تعقيب بسيط على ما قاله الأستاذ الدكتور عبد الحميد عن التكامل والتوافق بين النص والفطرة، فالإمام ابن تيمية وضع قاعدة تتوافق مع هذه المقولة وهي "أن العقل السليم لا يتنافى مع النص الصحيح" والتعقيب هو كلمة النص الصحيح فهذه لابد من إضافتها في موضوع تكامل النص والفطرة لماذا؟ لأن ليس كل ما أثر عن النبي r ويقرأه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسلمون الآن هو من قول النبي r وهذه إشكالية كبيرة جداً قد تسبب أخطاءً كثيرة وأخطاء لدى المتخصصين وغير المتخصصين وهو ما يدعو إلى الاهتمام بعلم الحديث بجميع فروعه وإشاعة هذا العلم حتى نمحو ما ألحق بالسنة النبوية المطهرة من أكاذيب، فضابط هذه القاعدة هو أن يتوافق نص الحديث مع القرآن، ولا يتعارض معه النص، وأن يكون ثبت عن النبي r وكما نعرف أنه النص الذي أرسل به النبي r هو القرآن الكريم، الذي أنزله الله سبحانه وتعالى هداية للناس فضابط هذه القاعدة أن يكون هذا النص قد ثبت عن النبي r .

تعليق بسيط عما قاله الدكتور عبد الناصر أنه ذكر أن المحدثين يضعون تعريفاً للحاكم وأمير المؤمنين...وهكذا، هذا عند المتأخرين المحدثين أي متأخري المحدثين أما المتقدمين كالإمام أحمد وغيره من الأئمة فلم تكن عندهم مثل هذه التعريفات التي ذكرها جزاكم الله خيراً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أ. مدحت ماهر (باحث في العلوم السياسية):

بالطبع لقد استفدت كثيراً من هذه المحاضرة من خلال هذا الأسلوب الرائع وأيضاً شرح القضايا والمسائل النظرية من خلال أمثلة تطبيقية فأنا أعتبر أن هذا الأسلوب أسلوب حيوي ويوصل الأفكار بشكل جيد جداً. والجانب الثاني هي بيان السنة والواضح في كتاب "العنف وإدارة الصراع السياسي بين المبدأ والخيار (رؤية إسلاميّة)" وهذا الكتاب أنا أوصى بأن يتم العمل عليه أكثر من ذلك لأنه من الكتب الفريدة.

الأمر الثالث هو قضية العنوان هنا وهى تحديد دور الفطرة في فهم النص وهذه مسألة كبيرة تعرض لها ابن تيمية في نقده للمنطق الأرسطي وحلول المنطق الفطري والكشف عن عناصر المنطق في النص القرآني نفسه، والأمر الأخر هو ما شدد عليه د. عبد الحميد، أكثر من مرة وهى أهمية الفهم الجزئي للقضايا في إطار رؤية كلية فلابد أن تكون الرؤية الكلية هي الموجودة للتعامل مع النص فنحن نحتاج فعلاً أن نفعل ذلك.

هذا فيما أعتبر أنني استفدت به كثيراً من المحاضرة ولكن أحب أن أنتقل إلى مسائل أخرى في نفس الإطار أيضاً فالقضية الأولى هي هل كنا نتعامل اليوم مع نصوص أم قضايا؟ فمثلاً قضية العقوبات والعنف السياسي وبعض القضايا الجزئية الأخرى التي ذكرت مثل الداروينية فأنا شعرت أننا نتعامل مع قضايا أكثر منها نصوص، ولكن الفقهاء وشراح الحديث ومفسري القرآن تعاملوا مع النص نفسه وداخل النص تعاملوا مع القضايا وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، والقضية الأخرى هي قضية الحكمة من التشريع وهى قضية مناقشه في أصول الفقه، والفقه يبحث فيها وقدموا العلة الظاهرية والعلة الباطنية فهم لم ينفوا الحكمة ومنها خرجوا بمسألة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقاصد والمصالح وتخريج الفروع عن الأصول، وقضية السنة وتوثيقها وحجيتها فنحن ألمحنا أن السنة الموثق منها قليل فهذا الكلام ليس فيه أي مشكلة إلا بقدر ما هو فيه تجهيل لأجيال الأمة الأولى، فإذا كان الإمام أحمد بن حنبل يحفظ مليون أثر وليس مليون حديث ويدرج أربعون ألف حديث ثم يأتي منذ خمسون عاماً فقط يعلق عليهم الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في الفتح الرباني فهناك ١٤٠٠ عام أمامهم هذا المسند ولم يخرج من قال أنه تزيد بأنه جاء بأربعين ألف حديث فهو لم يكن ثبوتي بل كان أمامهم الكتاب فنحن نريد أن نتواصل معهم في مسألة الحديث لأنهم أكثر منا اجتهادا واجتهدوا اجتهاداً معجزاً كإعجاز القرآن.

وشكراً .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعقيب أ. د. عبد الحميد أبو سليمان على المداخلات:

فيما يخص الحديث فأنا ذكرتها في صيغة المبالغ في الجمع وأذكر عندما صارت قصة القرآنيين قام أحد الحكماء وهو صاحب مقام رفيع وتحدث عنها وأختتم حديثه قائلاً: إننا إذ لم نأخذ بالسنة فسيكون عندنا كلام عام" فالسنة هي تفصيل وشرح وتوضيح لما جاء في القرآن فكل الدراسات الحالية قائمة على السنة وليس القرآن وقضية العدد فأي عدد تكون المهم أن تدل على شيء، الأمر الأخر أننا عندنا نقدين؛ نقد المتن ونقد السند والأمر الأكثر أهمية هو نقد المتن وأنا أعتبر أن القرآن هو الميزان فلماذا المبالغة في استخدام السنة فلابد أن يكون هناك تواصل بين الواقع والفطرة وبين النص والعقل هو الأداة. وشكراً لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com